هامش على كتاب
مغنى اللبيب لابن هشام

بقلم
الأستاذ الدكتور طه الزينى
الأستاذ المتفرغ بالكلية

أولا ـ قال ابن هشام فى المغنى فى باب أم عن قول المتنبى :

أحاد أم سداس فى أحاد ليلتنا المنوطة بالتناد[1]

(واعلم أن هذا البيت اشتمل على لحنات : استعمال أحاد وسداس بمعنى واحدة وست ، وإنما هما بمعنى واحدة واحدة وست ست ، واستعمال سداس وأكثرهم يأباه ويخص العدد المعدول بما دون الخمسة ، وتصغير ليلة على ليلية وإنما صغرتها العرب على لييلية بزيادة الياء ، على غير قياس حتى قيل : إنها مبنية على ليلاة فى نحو قول الشاعر :

---

(١) معنى البيت : هل هذه ليلة واحدة أم هى ست ليال فى ليلة واحدة ، والمنوطة : المرتبطة ، والتنادى : تنادى القوم للخروج للقتال ، وقيل المراد بالتنادى : تنادى يوم القيامة فكأن الليلة ستطول إلى يوم القيامة . والمعنى : أن هذه الليلة طويلة جدا وهذا الطول معنوى وليس طولا حقيقيا لأن مافى الليلة من الانتظار والخوف جعلها كأنها ست ليال ، أو كأنها ستطول إلى يوم التناد وهو يوم القيامة ، وهذا البيت من قصيدة للمتنبى يمدح بها على بن إبراهيم التنوخى

* فى كل ما يوم وكل ليلاه[1] *

وقد عد ابن هشام ثلاث لحنات على المتنبى فى البيت :

أما اللحن الأول : وهو استعمال أحاد وسداس بمعنى واحدة وست فقط وهو بمعنى واحدة واحدة وست ست لأنه معدول عن ذلك كما فى قوله تعالى : (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن أصلها اثنتين اثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا ، وكما فى قوله ﷺ : (صلاة الليل مثنى مثنى) فإن مثنى الأولى معدولة عن اثنتين اثنتين ، ومثنى الثانية توكيد لمثنى الأولى ، فهذا لحن حقيقة وإن كان بعضهم خرجه على أن المراد واحدة واحدة وست ست باعتبار أجزاء الليلة كأن كل جزء منها ليلة مستقلة مبالغة ولكن هذا التخريج بعيد كما قال الشيخ الأمير فى حاشيته على المغنى .

وأما عده تصغير ليلة على ليلية لحناً فلاحق له فيه ؛ لأن باب التصغير كله قياسى وما ورد عن العرب مخالفاً لقواعده يعتبر شاذا ، وقد نص النحويون على ما ورد من التصغير الشاذ عن العرب ، فتصغير ليلة على ليبلة ليس لحناً وإنما هو فصيح مطابق للقياس ولأكثر ما تنطق به العرب فى تصغيرها لكلماتها، أما تصغير ليلة على ليبلة فهو شاذ؛ ولذلك قال النحويون: إنه ليس تصغير ليلة وإنما هو تصغير (ليلاة) كما قالوا فى تصغير غشية على عشيشية ومغرب على مغيربان إنه شاذ ،فمن قال فى تصغير عشية غشية - بضم العين وفتح الشين وتشديد الياء - وفى مغرب مغيرب - بضم الميم وفتح الغين وكسر الراء - لا يعتبر لاحناً ولا يصح أن نلزمه باتباع ماشذت فيه العرب من التصغير على غير القياس ، فالمتنبى ليس لاحناً فى تصغيره ليلة على ليبلة .

---

(١) هذا عجز بيت وصدره : (يا لك من جمل ما أشقاه) و (ما) فى قوله : (فى كل ما يوم) زائدة .

وكذلك عده استعمال سداس لحياً لا حق له فيه أيضاً ؛ لأن الصحيح أن العرب استعملت فعال ومفعل فى العدد المعدول من أحاد وموحد إلى عشار ومعشر ، وقد ذكر ابن هشام نفسه ذلك ، قال الشيخ خالد الأزهرى فى شرحه على أوضح المسالك لابن هشام عندذكره الوصف المعدول فى باب الممنوع من الصرف بعد أن ذكر الخلاف فى صياغة فعال ومفعل من العدد : (والصحيح كما قال الموضح هنا وفى الحواشى أن البناءين مسموعان فى الألفاظ العشرة كما حكاه الشيبانى ، ولا يعارض بقول أبى عبيدة والبخارى فى صحيحه إن العرب لا تتجاوز الأربعة ، لأن غيرهما سمع ما لم يسمعا) وعلى ذلك لا يصح أن يوصف المتنبى بأنه لاحن فى استعماله سداس ؛ لأن الذى يستعمل المسموع عن العرب وهو الصحيح لا يعد لاحناً ، وأيضاً الذى يخالف الأكثر كما قال ابن هشام : (وأكثرهم يأباه) لا يعد لاحناً ولا سيما إذا كان غير ما عليه الأكثر هو الصحيح .

ثانياً : قال ابن هشام فى باب (إذا) عند ذكره العامل فيها : (والثانى أنه ما فى جوابها من فعل أو شبهه وهو قول الأكثرين ، ويرد عليهم أمور) ، وذكر الأمر الأول ثم قال (والثانى أنه ممتنع فى قول زهير :

بدا لى أنى لست مدرك ما مضى ولا سابقا شيئاً إذا كان جائيا

لأن الجواب محذوف وتقديره : إذا كان جائيا فلا أسبقه ، ولا يصح أن يقال : لا أسبق شيئاً وقت مجيئه لأن الشىء إنما يسبق قبل مجيئه) انتهى كلام ابن هشام ، ولا حق له فى هذا الاعتراض لأن إذا للمستقبل ، ومعنى قول الشاعر : إذا كان جائيا : إذا كان سيأتى ، فعلى تفسير ابن هشام للسبق بمعناه الحقيقى يكون كلام الشاعر صحيحاً ، وهو أنه لا يسبق شيئاً سيأتى لا أن يسبق شيئاً وقت مجيئه وإذا فسرنا السبق بمعنى الفوات والتخلص من الشىء يكون المعنى (ولا متخلصا من شىء إذا كان مجيئه حتما) كما فى قوله تعالى فى الآية الرابعة من سورة العنكبوت (أم حسب الذين يعملون السيئات أن

يسبقونا ساء ما يحكمون) فمعنى يسبقونا يعجزونا ويتخلصوا من قضائنا ، أو يفوتونا ولا يصل إليهم عذابنا، وقد ذكر ابن الصائغ هذا المعنى فى البيت قال : وهذا كما فسر الزمخشرى قوله تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن يسبقونا)[1] وعلى ذلك لا يلزم القائلين بعمل جواب إذا فيها هذا الرد الثانى الذى ذكره ابن هشام ، ويلاحظ أن الآية التى ذكرها ابن الصائغ ليس فيها لفظ يسبقونا كما يظهر ذلك فى الهامش ، والاستدلال إنما يكون بالآية الرابعة من سورة العنكبوت التى ذكرناها أولا :

---

(١) نقل الأمير فى حاشيته على المغنى كلام ابن الصائغ وذكر الآية كما أثبتناها فوق ولم تفهرها لأن الأمانة تقتضى المحافظة على النص ثم التعليق عليه ، ولعل الأمير أو ابن الصائغ قد سها عند نقل الآية لأنها الآية رقم ٢١ من سورة الجاثية ولفظها (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) وليس فيها لفظ يسبقونا .